كان والدي لا يكلّ من العبادة أبداً

حوار مع ابن العارف الرباني الشيخ بهجت قدس سره

إعداد: سليمان بيضون

كان شيخ الفقهاء العارفين الشيخ بهجت رضوان الله تعالى عليه من مراجع التقليد المعاصرين، ومعلّماً قديراً للأخلاق والعرفان، وينبوع فيض معنوي لا ينضب، فإنّ قلب هذا العابد الزاهد مرآة منيرة صقلها الإلهام الإلهيّ، وأقواله العطرة دليل لأفكار وأعمال الباحثين عن الحقّ والسالكين سبل الله عزّ وجلّ، ومن الخصائص المميّزة لعبد الله الصالح هذا عبادته الخالصة، وإحياؤه الليالي بعشقه لله ولا سيما في شهر رمضان المبارك.

تعيد مجلة «شعائر» نشر المقابلة التي كانت أجرتها وكالة «رسا» الإيرانية مع نجل الشيخ بهجت حجة الإسلام الشيخ علي بشيء من التصرّف.

رسا: معروف أنّ سماحة الشيخ بهجت إنسان متواضع جدّاً، نرجو الحديث عن بعض ملامح تواضعه؟

- عندما يذهب والدي إلى مجلس ما، كان يدخل بهدوء، ويجلس بسرعة في إحدى الزوايا قبل أن ينهض أحد من مكانه لتحيّته، هذه واحدة من خصائصه فيما يتعلق بالمجالس على خلاف الآخرين.

رسا: هل كان يدرّس آيات القرآن أو يفسّرها للطلاب في شهر رمضان المبارك؟

- لم يدرّس التفسير قطّ، ولكنه كان يتدبّر آيات القرآن في الأسحار، وبين الطلوعين، وفي أواسط النهار في أيّام شهر رمضان.

رسا: ما الذي كان يهتمّ به الشيخ بهجت من آداب ليالي القدر؟

- كان يراعي قراءة الأدعية الواردة في ليالي القدر، حيث يبقى مستيقظاً ويضع القرآن الكريم على رأسه، ولم يكن يعتبر دعاء وضع المصحف على الرأس خاصّاً بليالي القدر، ويرى أنّنا نحرم أنفسنا كثيراً من العبادات لمجرّد أنّها خصّصت بزمان معيّن، ولذلك كان يوصي بوضع المصحف على الرأس في الشدائد والأوقات العصيبة، كما إنّه في ليالي الجمعة كان يفعل الأمر نفسه.

إضافة إلى ذلك كان يواظب على قراءة حديث الكساء ليلاً قبل النوم، ولا ينام إلّا على وضوء، ثمّ لمّا واجه مشاكل تعيقه عن الوضوء استعاض عنه بالتيمّم، وفي بعض الليالي التي يريد إحياءها كان يستريح قليلاً لينهض مجدداً وهو يقول بأنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كانت (في ليالي القدر تعالج أهل بيتها بقلة الطعام).

رسا: ما هو أسلوب الشيخ بهجت في الحداد على أمير المؤمنين عليه السلام ليلة ضربه بالسيف ثمّ استشهاده؟

- كان عمل الشيخ بهجت في جميع أيّام الوفيات هي قراءة الزيارة الخاصّة بالشخصية المتوفّاة، إضافة إلى ذلك كانت تعتريه حالات خاصّة ممزوجة بالألم والحزن، وحينما كان يحضر على العشاء في ليالي الوفاة يحكي للأطفال قصصاً تاريخية في هذا المجال طبقاً لما ورد في الروايات من أخبار

الشهادة وعيناه قد امتلأتا بالدموع، ولسانه يتبرّأ من أعداء أهل البيت عليهم السلام، في حين أنّه قد يمزح مع الأطفال في الليالي الأخرى.

رسا: ما هي وصايا الشيخ بهجت للآخرين فيما يتعلّق بأعمال الأعياد كعيد الفطر مثلاً؟

- لقد كانت له دقّة عجيبة في تعيين عيد الفطر، ولا يرضى بالحكم السريع بثبوت الهلال، بل لا يصدر حكماً بذلك كعادته. وكان يوصي بعدّة مقدّمات، يقول مثلاً: إذا كنتم تستطيعون الصلاة بقراءة ألف مرّة لسورة (التوحيد) فافعلوا، وإذا لم تستطيعوا قراءة الألف فاقرؤها مائة مرّة. وكان يوصي الآخرين بإتيان الأعمال كما هي في الروايات، ولم يحمّـل أحداً ما كان يستطيع هو بنفسه الإتيان به، كما إنّ عدم الاستطاعة في العبادة لم يكن له معنى بالنسبة إليه، فكان يمتلئ طاقة وقوّة بالعبادة، ولم يتظاهر بذلك أمام أحد أبداً، وإن اعترض شخص ما على معدّل عبادته فسيقول إنّ هناك من يأتي بأضعاف عبادتي، وتراه دائماً يعرّف الأشخاص الذين كانوا أكثر منه عبادة وزهداً ويمدحهم، وبالطبع كان يفعل ذلك ليُبدي قلّة عمله.

لم يكن الشيخ بهجت يعتبر دعاء وضع المصحف على الرأس خاصّاً بليالي القدر، ويرى أنّنا نحرم أنفسنا الاستفادة من كثير من العبادات لمجرّد أنّها خصّصت بزمان معين

رسا: كيف كان الشيخ يستفيد من لحظات عمره؟

- على الرغم من أنّني كنت معه ما يقرب من خمسين عاماً لم أكن أعلم أنّ مجموع عباداته بنحو متّصل يبلغ إحدى عشرة ساعة في اليوم، وكان يتعامل مع الوقت والثواني كقطرات ماء لا ينبغي أن تذهب هدراً، فكان يحرص بشدة على أن لا يضيّع الثواني بلا جدوى، ولكنّه لم يبيّن ذلك لأسرته، ولم يظهر نفسه أمامهم، وإذا أحسّ بأن أحداً انتبه له فسيصرفه عنه بنحو أو آخر، وله بذلك خبرة وافرة، وإذا بقي ذلك الشخص حاضراً وأصرّ كثيراً على مراقبته فسيعمل على أن لا يجلب انتباهه أكثر، ثمّ فهمنا بعد ذلك بأنّه يرى أن هذا الأمر يتنافى مع الإخلاص.

رسا: نرجو أن تصفوا لنا حالات الشيخ الوالد أثناء العبادة؟

- كانت الصلاة ترهقه بشدّة، ويتحمّل خلالها عبئاً ثقيلاً ويتعرّق بكثرة، ولكنّه في عبادات أخرى كزيارة الأئمة الأطهار عليهم السلام يبدو عليه النشاط، فقد كان يزور ضريح السيدة فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام يومياً لمدّة ساعتين بعد صلاتي المغرب والعشاء، ولمّا أخذ يواجه مشكلة من الناحية الجسمية كان يتشرّف بالذهاب في أوقات خاصة، وعندما يرجع من الزيارة كنّا نتيقن بأنّه اكتسب طاقة عظيمة.

ولم يعرف الشيخ التعب في العبادة أبداً، ولم أرَ النوم قطّ متعلّقاً بأهدابه وهو مشغول بالتعبد.

الجنّة موجودة في الدنيا وكذلك النار

أجوبة العلامة الطباطبائي على أسئلة عقائدية

إعداد: سليمان بيضون

لطالما تصدّى العلماء المتبحّرون للإجابة على أسئلة تردهم من شتّى الجهات وفي مختلف العناوين لا سيّما العقائدية منها، لذلك نجد في مؤلّفات كثير من هؤلاء الأفذاذ كتب بعنوان «أجوبة المسائل»، والعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي كفيلسوف إسلامي ومفسّر لكتاب الله المجيد قد تصدّى للإجابة على أسئلة في مواضيع حسّاسة، منها ما توجه بها إليه تلميذه العلامة السيد محمد حسين الطهراني، وهي مثبتة مع أجوبتها في كتاب «الشمس الساطعة» ننقل منها ما ورد بين الصفحات ٣٣٤ إلى ٣٤٠ ببعض التصرّف.

س: هل يكون عالم البرزخ لجميع الناس، أم هو مختصّ بالذين مَحَضوا الإيمان أو الكفر؟

ج: في بعض الروايات أنّ البرزخ مختصٌ بالكاملين، بل أكملهم، أو حسب التعبير الخاصّ «بمن كمل في الإيمان وبمن كمل في الكفر». فالبرزخ لهاتين الطائفتين، أمّا الطائفة الثالثة الذين ليسوا ممّن مَحَضَ الكُفْرَ مَحْضَاً وَمَحَضَ الإسلَامَ مَحْضَاً، فلا برزخ لهم. كما إنّه في البعض الآخر من الروايات أنّ البرزخ ليس مختصّاً بهؤلاء، بل الجميع شركاء فيه، وأنّه على جميع الأفراد أن يطووا عالم البرزخ بعد موتهم، ثمّ يعبرونه باتّجاه القيامة.

س: من الآيات التي يستدلّ بها على عالم البرزخ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران:١٦٩، ألا يمكن القول بناء على اختصاص الشهداء بالرزق بعد قتلهم أنّ البرزخ ليس للجميع؟

ج: إنّ آية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ لا تمتلك مفهوماً دالّاً على أنّ غير الشهداء في سبيل الله لا يُرزقون في عالم البرزخ، وذلك أوّلًا: لأنَّ تتمّة الآية تقول: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وهي دالّة على أنّهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم، ومعلوم أنّ الَّذِينَ لم يَلْحَقُوا بِهِمْ ليسوا خصوص الشهداء، بل الآية مُطلقة لجميع المؤمنين الذين لا يزالون أحياء.

وثانياً: هناك آيتان في القرآن تدلّان على أنّ البرزخ للجميع، وأنّ الإنسان بمجرّد أن يموت يعبر إليه، الآية الأولى في سورة «يس» من قصّة الرسولَين اللذين أرسلهما النبيّ عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام إلى أنطاكية للتبليغ، ثمّ تكذيب الناس لهما ومجيء الرجل الثالث من أقصى المدينة لمساعدتهما، وهي قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يس:٢٠، فدعا الناس ونصحهم، وقال: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ يس:٢٥، وحينها قام قومه فقتلوا ذلك الرجل المؤمن، وهنا يقول القرآن الكريم: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ يس:٢٦. فبمجرّد أن قُتل قيل له ادخل الجنّة، فقال: ﴿..يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ يس:٢٦-٢٧.

والآية الثانية في سورة نوح، وهي تشبه الأولى ولكنّها تنطبق على الكفّار، وهي قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟

نَارًا ..﴾ نوح:٢٥. لقد هلك قوم نوح إثر معاصيهم وفسقهم وفجورهم فدخلوا النار بعد غرقهم مباشرة ﴿..فَأُدْخِلُوا نَارًا ..﴾، أي بلا مهلة ولا تأخير.

ويستفاد من الروايات المستفيضة والمشهورة أنّ البرزخ لجميع الكفّار والمسلمين، سواءً كانوا من أهل الكمال في السعادة أم الشقاء، أو كانوا متوسّطين.

س: ألَا يستفاد من كلمة «أُعِدَّتْ» الواردة في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران:١٣٣، أنّ الجنّة موجودة الآن؟

ج: إلى حدّ ما ليست خالية من الدلالة، وهناك في القرآن الكريم مطلب آخر أيضاً حيث يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ق:٢٢، فهذه الآية تثبت أنّ ما سيُرى يوم القيامة كان موجوداً في الدنيا ومشهوداً، وغاية الأمر أنّه كان مغفولاً عنه، إذاً ما يسمّى «الجنّة» أو «الجحيم» كان له تحقّق في الدنيا، وكان الإنسان يشاهده، ولكنّه غافل في المشاهدة، لقد كان غافلًا عن الحقيقة والواقعيّة في الخارج، وبناءً على هذا فالجنّةُ في الدنيا موجودة وكذلك النار، غاية الأمر أنّ الناس غافلون عنها.

س: ورد فيما يخصّ علامات آخر الزمان تعبير «وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَكَلَّمُ الرُّوَيْبِضَةُ»، فما المقصود من الرويبضة؟ كذلك ورد ذكر «الدجّال» و«يأجوج ومأجوج»، فمن يكون هؤلاء؟

ج: الظاهر أنّ المقصود بالرويبضة اولئك الذين لا منزلة لهم في المجتمع، والذين لا يؤبه بهم؛ والتكلّم عبارة عن تقلّد زمام الأمور الاجتماعية والرئاسة على الناس.

وبالنسبة للدجّال وهو الشخص المفتري الكذّاب، فهناك روايات عديدة تبيّن أنّه يخرج قبل ظهور القائم المهديّ أرواحنا فداه، ويُضلّ الناس عن الحقّ، ولكن ما ورد حول صفاته غير قابل للاعتماد، كما جاء أنّه رجل يركب على حمار ويمشي فتهتزّ من حوله الجنّة والنار يميناً وشمالاً. وقد ورد الدجّال في أحاديث العامّة أيضاً وذكر مولده، حتّى أنّهم روَوا أنّ رسول الله قد أُخبر بذلك فذهب إليه، أو أنّه جاء بنفسه إلى الرسول، وغير ذلك من الكلام الذي لا يمكن الاستناد إليه.

أمّا بالنسبة ليأجوج ومأجوج، فالظاهر أنّهما فئتان من الناس تعيشان قرب سدّ جبل القفقاز الذي بناه ذو القرنين حسب الشواهد الموجودة، بحيث لا يستطيعون الهجوم على هذه البلاد. وذكر البعض أنّهما طائفتان من المغول، وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى أصل يأجوج ومأجوج: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ الأنبياء:٩٦. أمّا بالنسبة لخلقتهم، فهناك روايات ذكرت بأنّ لهم آذاناً كبيرة يفترشون واحدة منها ويلتحفون بالأخرى، ولكن هذه الروايات منقولة عن العامّة، ومن المعلوم أنّها مختلقة على الظاهر ولا يمكن الاعتماد عليها.

يستفاد من الروايات المستفيضة أنّ البرزخ لجميع الكفّار والمسلمين، سواءً كانوا من أهل الكمال في السعادة أم الشقاء، أم كانوا متوسّطين في مراتب الإيمان والكفر